الباب العاشر

ترجمة عائلة اقيت

وفى كتاب الذيل للعلامة الفقيه أحمد بابا [1] رحمه الله . قال أحمد بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن على بن يحى بن كدالة الصنهاجى التنبكتى . جد والدى يُعرف بالحاج أحمد أكبر الإخوة الثلاثة شهروا علماً وديناً فى قطرهم من أهل الخير والفضل والدين ، محافظاً على السُّنة ، والمروّة ، والصيانة ، والتحرّى ، مُحباً فى النبى ﷺ . ملازماً لقراءة قصائد مدحه وشفاء عياض على الدوام . فقيهاً ، لغوياً ، نَحوياً ، عروضياً ، مُحصلاً ، اعتنى بالعلم طول عمره وكتبه ، كتب عدة كتب بخطه مع فوائد كثيرة ، وترك نحو سبعمائة مجلد .

أخذ عن جده لأمه الفقيه اند غمحمد . وعن خاله الفقيه ، مختار النحوى ، وغيرهما . شرَّق فى عام تسعين وثمانمائة وحجَّ ، ولقى الجلال السيوطى ، والشيخ خالد الوقاد الأزهرى إمام النحو وغيرهما ، ورجع فى فتنة الخارجى سن على ، ودخل كنو ، وغيرها من بلاد السودان .

ودرس العلم وأفاد وانتفع به جَمْعٌ كثير أجلُّهم الفقيه محمود ، قرأ عليه المدونة وغيرها واجتهد فى العلم درساً وتحصيلاً ، حتى تُوفِّى ليلة الجمعة فى ربيع الثانى عام ثلاثة وأربعين وتسعمائة عن نحو ثمانين سنة . وطُلبَ للإمامة فأبى فضلاً عن غيرهما . ومن مشهور كراماته أنه لما زار القبر الشريف طلب الدخول إلى داخله ، فمنعه الخدَّام منه ، فجلس خارجه يمدحه ﷺ ، فانحلّ له الباب وحده بلا سبب فتبادروا لتقبيل يده، هكذا سمعتُ الحكاية من جماعته .

عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن على بن يحى الصنهاجى المسوفى ، شقيق جدى المتقدم ، كان فقيهاً ، حافظاً زاهداً ، وَرعاً ، ولياً صالحاً فى غاية الورع والتقوى ، قوى الحفظ . درس بوالاتن [2] وتوفى بها سنة تسع وعشرين وتسعمائة ، ووُلدَ سنة ست وستين وثمانمائة ، له كرامات .

---

(١) أحمد بابا التنبكتى : من أشهر مؤرخى غرب إفريقيا . أشهر كتبه (تطريز الديباج) ، وهو تراجم لعلماء المذهب المالكى غير المذكورين فى الديباج لابن فرحون .

(٢) والاتن : تُعرف باسم ولاتة ، تقع شمال غرب تنبكت .

محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن على بن يحى الصنهاجى التنبكتى ، قاضيها أبو الثناء وأبو المحاسن ، عالم التكرور وصالحها ، ومُدرسها ، وفقيهها وإمامها بلا مدافع . كان من خيار عباد الله الصالحين ، العارفين به ، ذا تثبّت عظيم فى الأمور وهدى تام ، وسكون ، ووقار ، وجلالة اشتُهر بعلمه وصلاحه فى البلاد . وطار صيته فى الأقطار شرقاً ، وغرباً ، وجنوباً ، وشمالاً ، وظهرت بركته إلى ديانة وصلاح وزهد ، ونزاهة ، لا يخاف في الله لومة لائم .

هابتْه الخلق كلهم ، السلطان فمَنْ دونه اروا تحت أمره يزورونه فى داره ، مُتبركين به فلا يلتفت إليهم ، ويهادونه بالهدايا والتحف ترى ، وكان سخياً ، جواداً ، ولى القضاء عام أربعة وتسعمائة . فسدَّد فى الأمور وشدَّد ، وتوخَّى الحق ولذوى الباطل هدَّد . فاشتهر عدله بحيث لا يُعرف له نظير فى وقته ، مع ملازمة التدريس ، وللفقه فيه حلاوة وطلاوة ، سهل العبارة ، حسن التقريب ، فلا يتكلف .

انتفع به كثيرون وحيي العلم ببلاده ، وكثُر طلبه الفقه ونجُبَ جماعة منهم ، فصاروا علماء وأكثر ما يقرىء المدونة [1] ، والرسالة ، ومختصر خليل ، والألفية ، والسلالحية . وعنه انتشر إقراء خليل هنالك ، وقيد عنه تقائيد عليه أبرزها بعضهم شرحاً فى سفرين . وحجَّ عام خمسة عشر وتسعمائة ، فلقى السادة كإبراهيم المقدسى ، والشيخ زكريا ، والقلقشندى .

وطال عمره فألحق الأبناء بالآباء ، ودرس نحو خمسين سنة حتى توفى سنة خمس وخمسين ، ليلة الجمعة سادس عشر رمضان . وبلغ من الجلالة وتعظيم الناس له وشهرة الذكر بالصلاح مبلغاً لم ينله أحد غيره . ووُلدَ سنة ثمان وستين وثمانمائة ، أخذ عنه والدى رحمه الله وأولاده الثلاثة القضاة : محمد ، والعاقب ، وعمر . وغيرهم .

مخلوف بن على بن صالح البلبالى ، فقيه حافظ رحلة اشتغل بالعلم على كبَر على ما قيل ، فأولُ شيوخه سيدى العبد الصالح عبد الله بن عمر بن محمد اقيت شقيق

---

(١) المدونة : كتاب فى فقه المالكية ، تأليف سحنون .

جدى بولاتن ، قرأ عليه الرسالة ورأى منه نجابة ، فحضَّه على العلم فرغب فيه ، وسافر للغرب فأخذ عن ابن غازى وغيره .

اشتهر بقوة الحافظة حتى ذُكرَ عنه العجبُ فى ذلك ، ودخل بلادَ السودان وككنو وكشن وغيرها وأقرأ هناك ، وجرى له أبحاث فى نوازل مع الفقيه ، العاقب الأنصمنى ، ثم دخل تنبكت وأقرأ بها ، ثم رجع للغرب فدرس بمراكش وسُمَّ هناك فمرض فرجع لبلده ، وتوفى بعد الأربعين وتسعمائة .

محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى ، عرف بايد أحمد بهمزة مفتوحة ، وياء ساكنة، فدال مفتوحة مضاف لاسم أحمد معناه ابن . كان فقيهاً ، عالماً ، فهاماً ، مُحدِّثاً ، مُتفنناً ، مُحصلاً جيد الخط ، حسن الفهم ، كثير المنازعة . قرأ ببلاده على جدى الفقيه ، الحاج أحمد بن عمر وعلى خاله الفقيه على . وحصَّل ولقى بتكده الإمام المغيلى ، وحضر دروسه .

ثم رحل للشرق صحبة سيدنا الفقيه محمود ، فلقى أجلاء كشيخ الإسلام زكريا، والبرهانيين القلقشندى ، وابن أبى شريف ، وعبد الحق السنباطى وجماعة ، فأخذ عنهم علم الحديث ، وسمع وروى ، وحصَّل واجتهد ، حتى تميَّز فى الفنون وصار من المُحدثين . وحضر درس الأخويين اللقانيين . وتصاحب مع أحمد بن محمد ، وعبد الحق السنباطى .

وأجازه [1] من مكة ، أبو البركات النويرى ، وابن عمته عبد القادر ، وعلى بن ناصر الحجازى ، وأبو الطيب البُستى وغيرهم . ثم رجع لبلاد السودان ، وتوطن كشن فأكرمه صاحبها وولاه قضاءها . وتوفى فى حدود ست وثلاثين وتسعمائة ، عن نيِّف وستين سنة وله تقييد وطرر على مختصر الشيخ خليل .

محمد بن محمود بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن على بن يحي الصنهاجى قاضى تنبكت ، كان فقيهاً ، فهاماً ، دراكاً ، ثاقبَ الذهن ، من عقلاء الناس ودُهاتهم . ولى القضاء بعد أبيه فساعدته الدنيا ، فنال ما شاء من دولة ورياسة ، وحصل له دنيا عريضة. شرح رجز المغيلى فى المنطق ، أخذ عنه والدى البيان والمنطق . وتوفى فى صفر سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة . مولوده عام تسعة وتسعمائة .

---

(١) أجازه : أعطاه شهادة .

العاقب بن محمود بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجى ، قاضى تنبكت ، كان رحمه الله مُسدداً فى أحكامه ، ثبتاً فيها صَلباً فى الحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، قوىَّ القلب جداً ،مقداماً فى الأمور العظام التى يُتوقف فيها ، جَسُوراً على السلطان فمَنْ دونه ، لا يبالى بهم ، ووقع له معهم وقائع ، وكانوا يخضعون له ويهابونه ويطاوعونه فيما يريد .

إذا رأى ما يكره عزل نفسه وسدَّ بابه فيلاطفونه حتى يرجع ، وقع له مراراً ذا بصيرة نافذة فى الأمور لا تخطيء فراسته كأنه ينظر فى الغيب مُوسَّعاً عليه فى دنياه مجدوداً فى أموره مع التحرِّى والتوقى ، مهيباً جداً أخذ عن أبيه وعمه رحل وحجَّ ، ولقى الناصر اللقانى ، وأبا الحسن البكرى ، والشيخ البشكرى وطبقتهم ، أجازه اللقانى ، كل ما يجوز له وعنه ، وأجازنى هو كذلك وكتب لى خطه بذلك ، وُلدَ عام ثلاثة عشر وتسعمائة ، وتوفى فى رجب عام إحدى وتسعين .

العاقب بن عبد الله الأنصمنى المسوفى ، من أهل تكده قرية عمرها صنهاجية قرب السودان ، فقيه ، نبيه ذكى الفهم ، وقاد الذهن ، مشتغل بالعلم فى لسانه ذرابة له تعاليق ، من أحسنها كلامه على قول خليل ، وخصصت نية الحالف حسن مفيد ، لخَّصته مع كلام غيره فى جزء سميته (تنبيه الواقف على تحرير خصصت ، نية الحالف) .

وله جزءٌ فى وجوب الجمعة بقرية أنصمن ، خالف فيه غيره والصواب معه ، والجواب المجدود عن أسئلة القاضى محمد بن محمود . وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير ، أجاب فيها إسكيا الحاج محمد وغيرها . أخذ عن المغيلى ، والجلال السيوطى وغيرهما ، ووقع له نزاعٌ مع الحافظ مخلوف البلبالى فى مسائل ، كان حياً قرب الخمسين والتسعمائة .

أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت ، تنبكتى المولد ، نزيل المدينة المشرفة ، عَمىَ كان خيراً صيتاً ، وَرعاً ، زاهداً ، تقياً ، أوَّاهاً ، وَلياً ، مباركاً معروفَ الصلاح ، ظاهرَ الزهد والورع والبرِّ ، متينَ الدين ، كثيرَ الصدقة والعطاء ، قلَّ أنْ يمسك شيئاً مع قلة ذات يده ، مُبرزاً فى الخير لا نظيرَ له ، نشأ على ذلك ، حجَّ وجاور ثم آب لبلاده لأجل أولاده فأخذهم ، ورجع ، وحجَّ المدينة حتى مات فاتح إحدى وتسعين وتسعمائة ، وُلدَ عام اثنين وثلاثين .

وهو أول من قرأتُ عليه علم النحو ، فنلتُ بركته ، ففتح لى فيه فى مدة قريبة بلا عناء ، له أحوال جليلة ، كثير الخوف والمراقبة لله ، ونصح عباده يردف زفرة بعد أخرى ، رطب اللسان بالتهليل ، وذكر الله على الدوام ، كثير الانشراح مع الناس من خيار صالحى العباد ، رفض الدنيا وزهد فى زهرتها ، مع ما لأهل بيته حينئذ من عظيم الجاه ، ما رأيتُ قط مثله ، ولا منْ يقرب منه فى حالة تواليف لطاف فى التصوف وغيره .

أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن اقيت بن عمر بن على بن يحيى . والدى الفقيه ، العالم ، ابن الفقيه العالم ، كان ذكياً ، دراكاً ، متفنناً ، محدثاً ، أصولياً ، بيانياً ، منطقياً ، مشاركاً ، وكان رقيقَ القلب ، عظيم الجاه ، وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس نفَّاعاً بجاهه ، لا تُرد له شفاعة ، يغلظ على الملوك فمَنْ دونهم ، وينقادون له أعظم الانقياد ، ويزورونه فى داره ، ولما مرض فى كاغ فى بعض أسفاره كان السلطان الأعظم إسكيا داوود يأتى إليه بالليل ، فيسهر عنده حتى برأ ، ويسمر عنده تعظيماً لقدره .

وكان مشهورَ القدر والجلالة ، وافرَ الجاه بحيث لا يعارض محباً فى أهل الخير متواضعاً لهم ، لا ينطوى على حقد لأحد مُنصفاً للناس ، جمَّاعاً للكتب ، وافر الخزانة[1] محتوية على كل علق نفيس ، سموحاً بإعارتها أخذ عن عمه بركة العصر محمود بن عمر وغيره .

رحل للشرق سنة ست وخمسين ، فحجَّ وزار واجتمع بجماعة كالناصر اللقانى والشريف يوسف ، تلميذ السيوطى ، والجمال ابن الشيخ زكريا ، والأجهورى ، والتاجورى . وبمكة ، وطيبة بامين الدين الميمونى ، والملائى ، وابن حجر ، وعبد العزيز اللمطى ، وعبد المعطى السخاوى ، وعبد القادر الفاكهى وغيرهم ، وانتفع بهم. ولازم أبا المكارم محمد البكرى وتبرَّك به ، وقيد عنه فوائد .

ثم قفل لبلده فدرَّس قليلاً ، وشرح مخمسات العشرينات الفازازية فى مدح النبى ﷺ ، ومنظومة المغيلى فى المنطق شرحاً حسناً ، وعلَّق على موضع من خليل ، وعلى شرحه للتائى حاشية ، وبيَّن فيها مواضع السهو منه ، وعلى صغرى السنوسى

---

(١) وافر الخزانة : صاحب مكتبة كبيرة .

والقرطبية ، وجمل الخونجى ، وفى الأصول ولم يكمل غالبها ، أسمع الصحيحين ، نيفاً وعشرين سنة فى شهر رجب وتالييه وغيرهما .

توفى فى ليلة الاثنين سابع عشر من شعبان ، عام إحدى وتسعين وتسعمائة ، وثقل عليه لسانه ، وهو يقرأ صحيح مسلم فى الجامع ، فأشار عليه شيخنا العلامة محمد بغيغ، وهو جالس حذاءه بقطع القراءة . فتوفى ليلة الاثنين بعده .

أخذ عنه جماعة ، كالفقيهين الصالحين شيخنا محمد وأخيه أحمد ابنى الفقيه محمود قرأ عليه الأصول والبيان والمنطق ، والفقيهين الأخوين ، عبد الله وعبد الرحمن ابنى الفقيه محمود وغيرهم . وحضرت أنا عليه أشياء عدة وأجازنى جميع ما يجوز له وعنه. وسمعت بقراءة الصحيحين ، والموطأ ، والشفاء . وُلدَ فاتح المحرم عام تسعة وعشرين وتسعمائة ، ورأيتُ له بعد وفاته رؤيا حسنة رحمه الله تعالى .

أحمد بن محمد بن سعيد ، سبط الفقيه محمود بن عمر . فقيه ، عالم ، محصل ، مدرس ، حضر على جده المذكور . الرسالة ، ومختصر خليل مرة ، وأخذ عن غيره المختصر والمدونة . انتفع الناسُ به من عام ستين إلى وفاته فى المحرم فاتح ست وسبعين وتسعمائة . ومنهم الفقيهان الأخوان شيخنا محمود وأخوه أحمد . قرأ عليه الموطأ ، والمدونة ، وخليلاً وغيرها . وله حاشية على خليل اعتمد فيها على البيان والتحصيل . وُلدَ عام إحدى وثلاثين ، أدركتُه وأنا صغير وحضرتُ دولته .

محمد بن محمود بن أبى بكر الونكرى التنبكتى ، عُرفَ ببَغْيُغْ ، بباء مفتوحة فغين معجمة ساكنة ، فياء مضمومة ، فغين مهملة ، مضمومة . شيخنا وبركتنا الفقيه ، العالم، المتفنن ، الصالح ، العابد ، الناسك . كان من صالحى خيار عباد الله ، والعلماء العاملين مطبوعاً على الخير ، وحُسْن النية ، وسلامة الطوية والانطباع على الخير واعتقاده فى الناس ، حتى كاد الناسُ يتساوون عنده فى حُسْن ظنه بهم وعدم معرفة الشر .

يسعى فى حوائجهم ، ويضر نفسه فى نفسهم ، ويتفجَّع لمكروههم ، ويُصلح بينهم وينصحهم إلى محبة العلم وملازمة تعليمه ، وصَرف أوقاته فيه وصحبة أهله ، والتواضع التام ، وبذل نفائس الكتب الغريبة ، العزيزة لهم ، ولا يفتش بعد ذلك عنها كائناً ما كان ، من جميع الفنون . فضاع له بذلك جملة من كتبه نفعه الله بذلك . وربما يأتى لبابه طالبٌ يطلب كتاباً فيعطيه له من غير معرفته مَنْ هو ، فكان العجب العجاب فى ذلك ، إيثاراً لوجهه تعالى مع محبته للكتب ، وتحصيلها شراءً ونسخاً .

وقد جئتُه يوماً أطلب منه كتبَ نحو ، ففتش فى خزانته ، فأعطانى كلَّ ما ظفر به منها إلى صبر عظيم على التعليم آناء الليل ، وعلى إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر حتى يملّ خاطروها وهو لا يبالى . حتى سمعتُ بعض أصحابنا يقول : أظن هذا الفقيه شرب ماء زمزم لئلا يملّ فى الإقراء تعجباً من صبره مع ملازمة العبادة ، والتجافى عن ردىِّ الأخلاق ، وإضمار الخير لكل البرية حتى الظلمة مُقبلاً على ما يعنيه متجنباً الخوضَ فى الفضول .

ارتدى من العفة والمسكنة أزين رداء ، وأخذ بيده من النزاهة أقوى لواء ، مع سكينة ووقار ، وحُسْن أخلاق وحياء ، سهلة الإيراد والإصدار ، فأحبته القلوب كافة، وأثنوا عليه عامة بلسان واحد إلى الغاية ، فلا ترى إلا مُحباً مادحاً ومُثنياً بالخير صادقاً ، طويلَ الروح ، لا يأنف من تعليم مُبتدٍ أو بليد أفنى فيه عمره مع تشبثه بحوائج العامة ، وأمور القضاء لم يصيبوا عنه بديلاً ، ولا نالوا له مثيلاً ، طلبه السلطان بتوليه ولاية محلته فأنف منها ، وامتنع ، واعترض عنه ، واستشفع فخلَّصه الله تعالى .

لازم الإقراء [1] سيما بعد موت سيدى أحمد بن سعيد ، فأدركتُه يقرى من صلاة الصبح ، أول وقته إلى الضحى الكبيرة دولاً مختلفة ، ثم يقوم لبيته ويصلى الضحى مدة ، وربما مشى للقضاء فى أمر الناس بعدها أو يصلح بين الناس ، ثم يُقرئ فى بيته وقت الزوال ويُصلى الظهر بالناس ، ويُدرِّس إلى العصر ، ثم يُصليها ويخرج لموضع آخر يُدرِّس فيه للاصفرار أو قربه ، وبعد المغرب يُدرِّس فى الجامع إلى العشاء ويرجع لبيته .

وسمعتُ أنه يجيء آخر الليل على الدوام ، وكان دراكاً ، ذكياً ، فَطناً حاضرَ الجواب ، سريعَ الفهم ، مُنوَّرَ البصيرة ، سَكُوناً ، صامتاً ، وقوراً . وربما انبسط مع الناس وربما زجرهم ، آية فى جودة الفهم ، وسرعة الإدراك معروفاً بذلك .

أخذ العربية والفقه عن الفقيهين ، الصالحين والده وخاله ، ثم قطن مع أخيه الفقيه

---

(١) الإقراء : طريقة من طرق التدريس . التى اتبعها العلماء المسلمون فى إلقاء الدروس . وهى عبارة عن قراءة الطالب جزءاً من الكتاب ، ثم يقوم الشيخ بشرحه .

الصالح ، أحمد تنبكت . فلازما الفقيه أحمد بن سعيد فى مختصر خليل ، ثم رحلا للحج مع خالهما ، فلقوا الناصر اللقانى ، والتاجورى ، والشريف يوسف الأوميونى ، والبرهموشى الحنفى ، والإمام محمد البكرى وغيرهم ثمة .

ثم رجعا بعد حجِّهما وموت خالهما فنزلا بتنبكت ، فأخذا عن ابن سعيد الفقه والحديث ، قرءا عليه الموطأ ، والمدونة ، والمختصر وغيرها ولازماه ، وعن سيدى والدى الأصول والبيان والمنطق قرأنا عليه أصول السبكى ، وتلخيص المفتاح[1] وحضر عليه شيخنا وحده جمل الخونجى ، ولازم مع ذلك الإقراء ، حتى صار أخيراً شيخ وقته فى الفنون لا نظيرَ له .

ولازمتُه أكثر من عشر سنين ، فختمتُ عليه مختصرَ خليل بقراءته وقراءة غيره نحو ثمانى سنوات ، وختمتُ عليه الموطأ قراءة وفهماً ، وتسهيل ابن مالك قراءة وبحثاً وتحقيقاً مرة بثلاث سنين ، وأصول السبكى بشرح المحلى ثلاث مرات قراءة وتحقيقاً .

وألفية العراقى شرح مؤلفها ، وتلخيص المفتاح بمختصر السعد مرتين فأزيد ، وصغرى السنوسى وشرح الجزيرة له ، وحكَم ابن عطاء الله مع شرح زروق ونظم أبى مقرعة والهاشمية فى التنجيم مع شرحها ، ومقدمة التاجورى فيه ، ورجز المغيلى فى المنطق ، والخزرجية فى العروض .

فشرح الشريف السبتى وكثير من تحفة الحكام لابن عاصم مع شرحها لولده كلها قراءته ، قرأتُ عليه فرعى ابن الحاجب ، قراءةَ بحث جميعه وحضرتُه فى التوضيح ، كذلك لم يفتنى منه إلا من الوديعة إلى الأقضية ، وكثيراً من المنتقى للباجى ، المدونة بشرح أبى الحسن الزرويلى ، وشفاء عياض .

وقرأتُ عليه صحيح البخارى نحو النصف وسمعته بقراءته ، وكذا صحيح مسلم كله ، ودولاً من مدخل ابن الحاج ، ودروساً من الرسالة ، والألفية وغيرها ،

---

(١) تلخيص المفتاح : كتاب فى المعانى والبيان . تأليف : القزوينى المتوفى عام ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م ، ويحتوى الكتاب على مقدمة وثلاثة فنون . الأول علم المعانى ، علم البيان ، علم البديع . انظر حاجى خليفة : كشف الظنون ، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٧٩م . جـ ١ ص ٣٨٤ .

وفسرتُ عليه القرآن العزيز إلى أثناء سورة الأعراف . وسمعتُ بلفظه (جامع المعيار) للونشريشى كاملاً ، وهو سفْرٌ كبير ومواضع أخرى منه ، وباحثتُه فى كثير من المُشكَلات ، وراجعتُه فى المهمَّات .

وبالجملة فهو شيخى وأستاذى ، ما نفعنى أحد كنفعه وبكتبه رحمه الله تعالى وجازاه بالجنة ، وأجازنى بخطه جميعَ ما يجوز عنه ، واقفتُه على بعض تواليفى فَسُرَّ به ، وقرَّظ عليه بخطه بل كتب عنِّى أشياء من أبحاثى ، وسمعتُه ينقل بعضها فى دروسه لإنصافه وتواضعه وقبوله الحق حيث تعين .

وكان معنا يوم الواقعة علينا فكان آخر عهدى به ، ثم بلغنى أنه توفى يوم الجمعة فى شوال عام اثنين وألف . مولوده عام ثلاثين وتسعماية له تعاليق وحواشٍ ، نبَّه فيها على ما وقع لشراح خليل وغيره وتتبَّع ما فى الشرح الكبير للتناى من السهو نقلاً وتقريراً فى غاية الإفادة ، جمعتها فى جزءين تأليفاً رحمه الله تعالى . انتهى ما كتبتُه من الذيل .

ومن سادات أهل سنكرى منْ روى ثقات عن ثقات أنه تصدَّق بألف مثقال ذهب [1] . على يد الشيخ الفقيه ، الولى ، الصالح أبى عبد الله القاضى مودب محمد الكابرى ، وفرَّقه على المساكين فى باب مسجد سنكرى ، وذلك أنه كانت مجاعةٌ حينئذ، فتكلم الشيخ فى مدرسته . وقال : منْ يفتح فى ألف مثقال أتكفل له الجنة ، ففتحها ذلك السيد المتصدِّق ، وفرَّقها على المساكين .

وقيل : رُؤى بعد ذلك فى المنام قائلاً يقول له : لا تتكفل علينا بعد . ورُوىَ : إن الولىَّ الزاهد ، الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود حكى هذه القصة فى مدرسته فى المسجد ، فقال له رجل : يا سيدى وهنا الساعة من إذا تكفلت له الجنة ، يعطى ألف مثقال ذهباً . فقال السيد عبد الرحمن فى الجواب : الكابرى وأمثاله هم رجال هذا الطريق .

ومنهم هذا الشيخ ، أعنى الفقيه القاضى مودب محمد الكابرى شيخ الشيوخ رحمه الله تعالى ، ورضى عنه ونفعنا به فى الدارين ، توطن تنبكت فى القرن

---

(١) مثقال : وحدة تعامل نقدى تعادل أربعة جرامات ذهب .

التاسع والله أعلم ، وعاصر فيها كثيراً من الأشياخ ، منهم الفقيه سيدى عبد الرحمن التميمى جد القاضى حبيب . والفقيه اند غمحمد الكبير جد القاضى محمد لأمه ، والفقيه عمر بن محمد اقيت والد الفقيه محمد المذكور ، والعلامة القطب سيدى يحى التادلسى وغيرهم .

قد بلغ الغاية القصوى فى العلم والصلاح ، وأخذ عنه الفقيه عمر بن محمد بن اقيت ، وسيدى يحى . وقيل : لا ينسلخ شهر إلا ويختم عليه تهذيب البرادعى لكثرة قرائه . والبلد حافلة يومئذ بالطلبة السودانيين أهل المغرب المجتهدين فى العلم والصلاح .

حتى قيل : إنه معه فى روضته ثلاثون كابرياً مدفونون معه ، كلهم علماء صالحون، وروضته بين روضة ولى الله تعالى الفقيه أحمد بن عمر بن محمد اقيت . وبين موضع صلاة الاستسقاء على ما أخبرنا به شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد أخ الفقيه عبد الرحمن ردمهم التراب .

ولهذا الشيخ المبارك كراماتٌ كثيرة باهرة ، منها أن واحداً من طلبة مراكش ، يُطلق لسانه فيه ويذكره بما لا ينبغى ، حتى يقول الكافرى بكسر الفاء المكسورة وهو ممَّنْ له جاه بليغ ، وحظٌّ عظيم عند الأمراء الشرفاء يسرد لهم صحيح البخارى فى رمضان .

فسلط اللهُ عليه الجذام ، وجلب له الأطباء من كل جهة ومكان ، حتى قال واحدٌ منهم : لا يداويه إلا قلب الصبى الآدمى يأكله ، فكم من صبيان ذبحهم له الأمير يومئذ ، فما نفع فيه شيء حتى مات منه فى يبس الحال والعياذ بالله . رُوىَ ذلك فى العلامة أحمد بابا رحمه الله تعالى .

ومن كراماته ما رويتُه عن والدى رحمه الله تعالى ، عن أشياخه أنه خرج ذات يوم من أيام عشر ذى الحجة لشراء الأضحية ، وكانت منه فى وراء البحر ومعه واحدٌ من تلاميذه ، فتخطى على البحر وتبعه تلميذه على ما ظهر له فى الحال ممَّا الله تعالى عالم به .

فغرق فى وسط البحر بعد ما خرج منه الشيخ فصاح عليه ومدَّ يده وأخرجه منه ، فقال له : ما حملك على ما فعلت . فقال : لما رأيتُك فعلتَ فعلتُ أنا إذن . فقال له : أين قدمك من القدم الذى ما تخطى فى معصية قط . انتهى .

وقد رثاه يوم مات ، رحمه الله تعالى الشيخ ، الإمام ، الولى ، العارف ، القدوة ، المكاشف ، القطب ، الغوث ، الجامع ، السالك ، السيد الشريف الربانى . سيدى يحى التادلسى ، بأبيات ، وهى هذه :

تذكر ففى التذكار جل الفوائد ... وفى طيه ورد على خير وارد
ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا ... وسفر ذوى الأفكار أحظى بزائد
تفىء لب المرء طيبه الصبا ... فيلحق فتياناً ويقوى لساعده
وفى نقص هذه الأرض للحجر عبرة ... من أطرافها يبدو ومن كل ماجد
وبالقبض للنظار فى العلم قبضة ... وفى ذاك إنذار بقرب شدائد
أطلاب علم الفقه تدرون ما الذى ... يثير هموم القلب من كل وافد
يثير هموم القلب فقد سميدع ... فقيه حليم حامل للفرائد
بحسن تعليم مقرب فهمه ... وفتاق تهذيب بحسن الفوائد
محمد الأستاذ مؤدب ذى النهى ... رباطاً صباراً أمره فى التزايد
فيا عجباً هل بعده من مبين ... ويا عرباً هل من بعده من مجالد
فلولا التعزِّى بالنبى وصحبه ... واعلام علم الدين منه وراشد
لحق لدمع العين سيح على الولا ... لإفناء أشباح وإطفاء واقد
لقد أظلم الورى وبانت همومه ... صبيحة أسرى نفيه فى الأساود
أينكر ذو حجر زحاماً لحمله ... ففى السلف الأسى قوى التكابد
إذا انكسر النعشان من تحت سالم ... ومن امنا الغرا زيادة واحد
وفى ذاك تعظيم وحُسن تأدب ... مع الصالح الموفى بعهد المقالد
إخواننا فادعوا له بتقبل ... وروح وريحان سنى الشاهد
وبسط برزق فى فراديس جنة ... شهادة أستاذ وطاعة عابد
عليه من الرحمن ذى المجد والعلى ... سلام بإلطاف عزيز الفوائد
وصلى إله العرش ربى بمنِّه ... على خير مبعوث وأفضل شاهد
محمد المختار للختم رحمه ... بتميم أخلاق كرام المعاهد

انتهى نقلها من خط والدى رحمه الله تعالى ، وعفا عنه بمنِّه .

ذكْر نسب الشيخ سيدى يحى رحمه الله تعالى ، ونفعنا به وأعاد علينا من بركاته فى الدنيا والآخرة ، وهو يحى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الثعلبى بن يحى البكاء ، ابن

أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، كرَّم الله وجهه ، ورضى الله عنهم ورحمهم أجمعين .

قدم تنبكت والله أعلم فى أوائل دولة التوارق ، فتلقَّاه تنبكت كى محمد نض فأحبه وأكرمه غاية الإكرام فابتنى مسجده وجعله إماماً فيه ، فبلغ الغاية القصوى فى العلم والصلاح والولاية ، وانتشر ذكره فى الآفاق والأقطار ، وظهرتْ بركاته للخاصة والعامة ، فكان ذا كرامات ومكاشفات .

قال أبو البركات الفقيه ، القاضى محمود ماطرا قدم تنبكت قط إلا وسيدى يحى أفضل من صاحبه . وقال ابنه الولى ، الزاهد ، الفقيه ، الواعظ أبو زيد عبد الرحمن بن الفقيه محمود ، فواجبٌ على أهل تنبكت أن يزوروا روضة سيدى يحى للتبرك فى كل يوم ، ولو كانت منهم على مسافة ثلاثة أيام .

وفى بداية أمره رحمه الله تعالى ، تخلى عن المعاملات ثم اشتغل بها فى آخر الحال ، وأخبر أنه قبل الاشتغال بها كان يرى النبى ﷺ كل ليلة ، ثم صار لا يراه إلا مرة واحدة فى الأسبوع ، ثم بعد شهر مرة ، ثم بعد سنة مرة . وسُئل : ما السبب فى ذلك ؟ قال : لا أحسبه إلا من تلك المعاملات ، فقيل له : فهلاَّ تركتها . قال : لا ، ما أحب أنْ أحتاج إلى الناس .

فانظر رحمنا الله وإياك إلى مصيبة المعاملة ، مع أن هذا الشيخ المبارك يحافظ فيها من المحظورات ، غاية ونهاية ، وانظر إلى ثقل الاحتياج إلى الناس . كيف ترك هذا السيد المبارك المزية العلية العظيمة لأجله ، نسأل الله العفو والمعافاة فى الدارين بمنِّه .

ورُوى أنه كان فى مدرسته ذات يوم تحت الصومعة من خارج يقرأ وحوله عصابة من الطلبة ، فإذا السحاب ارتفع ، وحصل على إنزال المطر حتى استعد الطلبةُ للقيام ، ثم ترعد فقال لهم : على رسلكم فاسكنوا ولا ينزل هنا ، والملك يأمره بالنزول فى أرض كذا . فجاز على حاله .

وحدثنا شيخنا الزاهد ، الفقيه ، الأمين بن أحمد رحمه الله تعالى ، أن جوارى الشيخ سيدى يحى طبخْنَ حوتاً طرياً . من صُبح إلى عشى فلم تؤثر النار فيه شيئاً ،

فتعجبن بذلك حتى سمعه ، فقال لهنّ : إن رجلى مسَّ شيئاً مبلولاً فى السقيفة حين خرجتُ لصلاة الصبح اليوم ، لعل النار لا تحرق ما مسّه جسدى .

ورُوى أن طلبة سنكرى إذا جاؤوه لأخذ العلم يقول : يا أهل سنكرى كفاكم سيدى عبد الرحمن التميمى ، وهو جاء من أرض الحجاز ، صحبه السلطان موسى ، صاحب ملى حين رجع من الحج فسكن تنبكت ، وأدركه حافلاً بالفقهاء والسودانيين ، ولما رأى أنهم فاقوا عليه فى الفقه ، رحل إلى فاس وتفقّه هناك ، ثم رجع إليه فتوطن فيه ، وهو جد القاضى حبيب رحمهم الله تعالى . وفى السنة السادسة والستين بعد ثمانمائة توفى سيدى يحى . وتوفى بعده عن قريب صاحبه الشيخ محمد نض ، كما مرّ رحمه الله تعالى .

(ترجمة الشيخ مسر)

ومنهم الشيخ مسر بوب الزغرانى ، صاحب الفقيه محمود بن عمر ، كان عالماً ، فاضلاً ، خيّراً ، صالحاً ، عابداً ، نادرَ المثال فى قبيلته ، لأنها لا تعرف بالصلاح ، ولا بحُسْن الإسلام ، لازمه الواعظ ، الزاهد ، الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود فى بداية أمره ، فاهتدى بهديه ، واستمع من مواعظه . وقيل : إنه كان فى مدرسته ذات يوم فآذنه الناسُ بجنازة ، فقال : منْ هو ؟ قيل : زغرانى ، قال : نُصلى عليه لأجل الشيخ مسر بوب فخرج وصلى عليه .

(ترجمة الشيخ عريان الراس)

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى ، الولى المكاشف صاحب الكرامات ، الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن على بن موسى عريان الراس ، كان من عباد الله الصالحين زاهداً سخياً ، خرج من ماله كله صدقة لله ، ويأتيه النذور والفتوحات فلا يمسك منه شيئاً ، بل يتصدق بها للفقراء والمساكين ، واشترى كثيراً من المماليك ، وأعتقهم لوجه الله تعالى والدار الآخرة .

وليس له بواب ، كل منْ جاء يدخل بلا استيذان ، يزوره الناس من كل فج فى كل ساعة وأكثرها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ، وأكثر الناس زيارة له أهل المخزن الباشات فمَنْ دونهم والعربان المسافرون لما رأوا من بركاته كثير ، وهو بين انبساط وانقباض .

إذا انبسط يتحدث لمَنْ غشاه بعجائب وغرائب ، ويضحك ويفرط فيه ، وربما يضرب بيده المباركة فى يد منْ قابله فى المجلس ، فى حالة الضحك ويضع يده اليسرى على فيه ، وقد ضرب فى يدى كثيراً ، ومتى انقبض لا يتحدث بشيء سوى الجواب لمنْ تكلم له وأكثر ما أسمعه فى تلك الحال . ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكُنْ، أو يقول حسبى الله وكفى سمعُ الله لمَنْ دعا ، ليس وراء الله مُنتهى .

ومنْ طلب منه الفاتحة عند انقلابه يمدّ يديه المباركتيْن يقول بعد التعوّذ والبسملة (يس)- الخ يا أرحم الراحمين ، ثم يقرأ الفاتحة ثلاث مرات ويدعو ويقول : أصلحنا الله وإياكم ، وأصلح أمورنا وأموركم ، وأصلح عاقبتنا وعاقبتكم فى عافية ثلاث مرات ، إلا فى آخر عمره لما دنا الرحيل ، اتخذ بواباً ، ولا يأذن فى الدخول عليه مثل الحالة الأولى ، بل يرد الناس فى بعض الأحيان .

واقتصر حينئذ فى قراءة الفاتحة على مرة واحدة ثم تركها ، فقال لى يوماً واحداً حين جلستُ بين يديه ، كل منْ جاء هنا قلت لهم : لا أقدر على قراءة تلك الفاتحة فدعا لى بالدعوة المعهودة مرة واحدة ، وعليها اختتم رحمه الله تعالى ورضى عنه وأعلى درجته فى أعلى عليين .

وفى بداية أمره تجلى له أبو المكارم ولىّ الله تعالى ، القطب ، الجامع سيدى محمد البكرى وهو حديثُ السنِّ يومئذ ، وقد خرج من عند حبيبه فى الله تعالى ، الفقيه أحمد ابن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، على العادة المعروفة بينهما فى الزيارة ، فأدركه قاعداً عند باب مسجد سنكرى وقت الزوال والمسجد ما زال مفتوحاً ، وبيده كتاب (الرسالة) لابن زيدون القيروانى يقرؤه على شيخه الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود .

فوقف عليه الشيخ المبارك وسأله : ايش هذا الكتاب الذى بيدك ؟ فقال : الرسالة ، فمدَّ يده المباركة وقال : أرنيه فجعله فى يده ، فطالع فيه قليلاً ، ثم ردَّه له ، وقال : بارك اللهُ لك فيه فجاز وهو لا يدرى منْ هو ، ولا رأى مثل لونه ، فلما جاء شيخه المسجدَ ، قصَّ عليه القصة فظنّ أنه الشيخ المذكور ، فلما خرج من المسجد طرق أخاه الفقيه أحمد المذكور ، فقال له : وهل جاء عندكم اليوم السيد محمد البكرى ؟ قال : نعم .

وقد تأخر عندى اليوم أكثر من عادته المعتادة ، فأخبره بما جرى بينه وبين محمد ولد اد على موسى ، هكذا يقول له أهل سنكرى ، ثم بعد ذلك تشوَّش عقله ، حتى ظنّ الناسُ أن به جنوناً ولا يبيتُ إلا فى المساجد ، ستكون عاقبته له خيراً .

وقد أخبرنى الثقة من طلبته أنه سأله : هل كان أحد رأى الله سبحانه فى الدنيا ؟ قال : نعم ومعك فى هذا البلد منْ رأى الله تعالى ، جلَّ وعزَّ . قال : أخبرت شيخنا العلامة الفقيه محمد بابا بن الفقيه الأمين ومن غير إذا ذكر له فى القابل ، فقال لى : الذى أخبرك به هو الذى رآه تبارك وتعالى .

وكنا عنده ثلاثة نفر أنا ورجلان يوماً بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ، وهو فى حالة الانبساط يُحدّثنا ، فإذا السحاب قد ثار فتغيَّر وجهه وتشوَّش ، وقطع حديثه وجعل ينزعج فى مجلسه ، فأول ما نزل من أقطار المطر أغلظ لنا فى الكلام وشدد . وقال : لا أجلس مع الإنسان إذ ينزل المطر . فخرجنا جميعاً ، فحدّثت شيخنا الفقيه الأمين به فتعجب .

وروينا عن بعض الإخوان أنه قال : كان لى جارٌ نتجالس فى طرفى النهار ، ونتوانس فتفقدته وداره قريب لدارى ، فمشيتُ إليه لأرى كيف هو حاله ، فلما سلَّمت عند باب داره شاور عنى البواب ، فجاء وقال : سيدى يقول لا تراه فى هذه الساعة . فقال : كدتُ أتميّز من الغيظ من تلك المقالة . فضربتُ صدرى بيدى ، وقلت : مثلى يجيىء إلى فلان لداره ويردنى بلا رؤيته عزمت على أنْ لا أكلمه أبداً .

ثم بعد ذلك زرتُ الشيخ المبارك . سيدى محمد عريان الراس ، فلما حصلت بين يديه بدأنى فى الكلام بعد السلام ، فقال : كان ولىٌّ من أولياء الله تعالى تفقد حالاً من أحواله ، فحزن لذلك حزناً شديداً حتى تمنى لقاء الخضر عليه السلام ، ليكون له وسيلة عند الله تعالى فى ردّ تلك الحال ، ثم إن الله تعالى ردها له بفضله وكرمه بلا وسيلة أحد .

فبعد ذلك جاء الخضر فسلَّم عليه فى باب داره ، وقال : منْ أنت ؟ فقال : المطلوب . قال : قد أغنانا الله عنك ، فرجع الخضر ولم يضرب صدره بيده يقول : مثلى يرد . يا فلان الإنسان معذور وربما يكون فى حال لا يقبل أنْ يراه أحد فيها .

قال: فهمتُ ما إليه الإشارة فتُبتُ فى نفسى ، استغفرت ومشيت إلى ذلك الأخ ، فسلَّمت وأمر بفتح الباب بسرعة فدخلت ، وقال لى : سامحنى فى ذلك المجيء الذى ما رأيتنى فيه وأنا ممدود وأنا ساعتئذ على الأرض ، وبطنى سيل لا أقبل أنْ يرانى أحد فى تلك الحال ، وقلت : سامح الله لنا ولكذلك جميعاً .

وروى عن بعض جيرانه أنه قال : أتيتُ القاضى محمود بن أحمد بن عبد الرحمن يوماً . فقال لى : وجارك هنالك ؟ قلت : نعم ، قال : الولى الذى لا يأتى الجمعة فسكت ، ثم بعد ذلك أتيت جيرانى السيد محمد عريان الراس . فقال لى : يا فلان تعفو أولاً ، قلت : العفو هو أفضل . قال : إنْ لم تعفُ يكُنْ ما لا ينبغى . قُل للذى يزعم بعدم إتيان الجمعة من أدراه قبل أن يأتى الجمعة ، هو سبقه إليها الذى زعم أنه لا يأتيها . والحكاية عنه فى هذا الباب كثير جداً رحمه الله تعالى ورضى عنه ، ونفعنا به فى الدارين ، آمين .

(ترجمة الشيخ الأمين بن أحمد)

ومنهم الفقيه ، العالم ، الزاهد ، الصالح ، التقى ، الورع شيخنا الأمين ابن أحمد أخ الفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد لأمه ، كان لسانه رَطباً بذكر الله تعالى ، ولا يسميه السيد محمد عريان الراس إلا بالأمين الذاكر .

وحدّثنى بعضُ الإخوان من أهل سنكرى عن والده ، وهو شيخ معمر أنه قال : أدركت سنكرى والأسلاف الصالحون متوافرون فيها فلم أرَ مثل حال الفقيه الأمين فيهم ، فى حُسْن الإسلام . وحدَّثنا رحمه الله تعالى فى مدرسته أن الفقيه عمر بن محمد ابن عمر ، أخ الفقيه أحمد مغيا ، كان يقرأ فى كتاب الشفاء للقاضى عياض على العلامة الحافظ ، الفقيه أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت يحضر هو وولده الفقيه أحمد بابا ، والفقيه القاضى سيدى أحمد .

ولا يقبل الأستاذ السؤال إلا للعارف وحده وللسيد أحمد فى بعض الساعات ، وأما ولده أحمد بابا إذا سأل فيقول له : اسكت إلى يوم واحد سأل الأستاذ القارى عمر عن قبح : هل هو لازم أم مُتعد ؟ فسكت ، ثم سأل سيدى أحمد فسكت قال : فتلوتُ

هذه الآية (هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾) [القصص] فرفع بصره إلىَّ وتبسَّم ، وكنا جماعة نعرض على شيخنا الفقيه الأمين كتاب دلائل الخيرات .

والشيخ يختلف فى إثبات لفظة سيدنا وإسقاطها ، فسألناه عنه ، فقال : كُنا نعرضه على الشيخ العلامة الفقيه محمد بغيغ فسألناه عنه كذلك ، فقال : ليس فى ذلك الاختلاف بأسٌ لا يضر بشيء . وسألنا أيضاً عن قول المؤلف : وأنْ تغفر لعبدك فلان بن فلان ، فقال : كُنا نعرضه لعبدك عبد الرحمن ، ولم يذكر والده .

وأما تاريخ وفاته فسيأتى إنْ شاء الله العام الحادى والأربعون بعد ألف . وتاريخ وفاة السيد العريان يأتى إن شاء الله تعالى فى العام الواحد والعشرين بعد ألف .

obeikandl.com